المحاضرة الرابعة	الشعر السياسي في العصر الأموي	قطري بن الفجاءة/الكميت

الشعر السياسي : هو كل ما ينظم في شان من شؤون السياسة يدعو به الشاعر لقبيلة أو حزب أو دولة أو مبدأ سياسي مثل الشورى أو الديمقراطية واختلفت دواعي النظم فيه فمن الشعراء من كتب بدافع العصبية أو المنفعة وهناك من دفعه مبدأ أو تبني فكرة .

لقد قوبل نزوع بني أمية إلى الاستئثار بالأمر بمعارضة عنيفة من طوائف من رعيتهم، منهم الخوارج الذين كانوا يريدون الخلافة شورية لا تكون وقفًا على قريش وحدها بل يتولاها كل من تتوافر فيه المؤهلات المطلوبة ولو كان عبداً حبشياً. ومنهم الشيعة الذين كانوا يرون آل البيت أحق بتولي الأمر من جميع بطون قريش ومن جميع المسلمين ويجعلون الإمامة أمراً إلهياً، فقد رأوا أن الله اختار نبيه والنبي اختار وصيه علياً، وكل إمام يوصي لمن يليه، وقد اتهموا بني أمية بأنهم اغتصبوا حقهم الشرعي. على أن حزبي الخوارج والشيعة ما لبثا أن انقسما إلى فرق تختلف فيما بينها في طائفة من المعتقدات، فانقسم الخوارج إلى أزارقة – وهم أشدهم تطرفاً – وإباضية، ونجدات، وصفرية، وفرق أخرى أقل شأناً، وانقسم الشيعة إلى إمامية اثني عشرية، وإمامية سبعية (إسماعيلية)، وكيسانية، وزيدية. وقد قام كل من الخوارج والشيعة بثورات متصلة طوال العصر الأموي ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق نصر حاسم لتفرق كلمتهم وقلة عددهم، ولكن ثوراتهم أدت إلى زعزعة أركان الحكم الأموي. ومن هذه الطوائف كذلك الزبيريون جماعة عبد الله بن الزبير الذي كان يرى أنه أحق بالخلافة من يزيد بن معاوية، وقام بينه وبين بني أمية نزاع دموي استمر عشر سنوات وانتهى بمقتله والقضاء على أصحابه سنة 73هـ. ومن هذه الطوائف من ثار على بني أمية لعدم رضاهم عن سياسة أميرهم، فثار عبد الرحمن ابن الأشعث على الحجاج ثورة كادت تزلزل أركان الحكم الأموي ولكنه أخفق في تحقيق النصر وانتهى الأمر بموته, وثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك وانتهى الأمر بمقتله.

ونظرًا لكثرة الانشقاقات في الأمة الاسلامية فقد تبلورت على شكل أحزاب ومن أبرزها :

1/ الحزب الأموي : وهو الحزب الحاكم, الذي استحوذ على السلطة والنفوذ في هذه الفترة

2/ الحزب العلوي : والذي تمثل بأهل البيت ومواليهم.

3/ الخوارج : ويرى بعض الباحثين أنهم من أقدم الفرق الإسلامية, وكان مبدأهم يقوم على أنه (لا حاكم إلا الله) وبناءً عليه فالخلافة ليست لبني أمية ولا هي لآل بيت النبي, بل هي لمن يختاره المسلمون ويحكمونه عليهم ولو كان عبد حبشي.

4/ الحزب الزبيري :الذي تزعمه عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب.

يختلط في الشعر السياسي المدح والفخر والهجاء والاقناع ومن أسباب ظهوره:قيام الأحزاب السياسية من الأمويين والخوارج والزبيريين والشيعة .و شدة الصراع بين الأحزاب في سبيل الحكم فصار لكل حزب شعراؤه ،فالأخطل – مثلاً– يدعو إلى بني أميّة، والكميت يدعو إلى بني هاشم(من الهاشميات وهي من أهم أنماط الشعر السياسي) يقول:في بائيته في مدح الهاشميين:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِباً أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

ولم يُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ ولم يَتَطَرَّبنِي بَنضانٌ مُخَضَّبُ

وَلاَ أنَا مِمَّن يَزجرُ الطَّيرُ هَمُّهُ أصَاحَ غُرَابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعلَبُ

ولا السَّانِحَاتُ البَارِحَاتُ عَشِيَّةً أمَرَّ سَلِيمُ القَرنِ أم مَرَّ أَعضَبُ

وَلكِن إِلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

إلى النَّفَرِ البيضِ الذِينَ بِحُبِّهم إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

وفي مقام آخر يدعو قطري بن الفجاءة إلى الخوارج[1] .. يقول في مجال الحرب يوطن نفسه على الصبر وملاقاة الأبطال.

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك أن تراعى

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

فإنك لو سئلت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

إن الموت عند قطري هو الدين الحقيقي، ولذلك كان الشاعر الخارجي في صراع كبير مع الزمن، وسبيله للانتصار عليه هو الموت ؟ موقف معكوس إذا نحن آمنا بالحياة الدنيا. قارن صراع الخوارج مع الزمن بصراع أتقياء أهل السنة له، تجد أن أتقياء أهل السنة يؤمنون أن الصبر هو طريق النصر، وقارنه مع الصوفية تجد أن هؤلاء يؤمنون بأن المسافة انتصار متوج بالموت؛ بالاتحاد أو الفناء، أما الخوارج فيرون أن تقصير المسافة انتصار متوج بالموت؛ ومن أجل هذا

(1) وهو من رؤساء الأزارقة وأبطالهم, وقد بقي قطريّ ثلاث عشرة سنة يقاتل ويُسلّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين. والحجاج بن يوسف يسيّر إليه جيشا بعد جيش، وهو يردهم ويظهر عليهم. وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فرسه) وفي السلم أبا محمد. قتل سنة 77هـ.

التهافت على نار الموت ؟ طواعية واختيارا ؟ نجد لديهم تلك النغمة القوية التي تصور استطالة الحياة أي التبرم بانتصار الزمن،[2] إذ يقول قطري:

إلى كم تغاريني السيوف ولا أرى ... مغاراتها تدعو إلي حماميا

هنالك إذن هذه الغاية التي نستطيع أن نسميها " غاية الموت " ، وهي التي تكيف الحياة عند الخوارج وتوجه الشعر والأدب عامة، وقد ثارت عليها النزعة الإنسانية ثورات، مرة بتصوير جمال الحياة، ومرة باللجوء مجالسة الأمراء الذين يعدهم الخوارج ظالمين، مثلما فعل سميرة بن الجعد حين أخذ يجالس الحجاج فكتب إليه قطري يقول:

فراجع أبا جعد ولا تك مغضباً ... على ظلمة أعشت جميع النواظر

وتب توبة تهدي إليك شهادة ... فانك ذو ذنب ولست بكافر

يرتطم قطري بالذات حتى أصبحت محوراً لشعوره، فإذا ناجى نفسه أو تحدث عن الحرب أو عن الموت والإقدام فما ذلك إلا لكي يصور ذاته ويفتخر بما فعل، كما في قوله:

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوفاً لحمام

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني تارة وأمامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي ... اكناف سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب ... جذع البصيرة قارح الإقدام

فالشاعر يحبب القتال إلى الناس وينفرهم من الإحجام، ولكنه يدير الكلام حول نفسه ليفخر بفروسيته وشجاعته، وهكذا هو قطري في كل أشعاره لا يستطيع أن يخفي حقيقة شعوره بإنسانيته وتفردها، وإن كان يقر للأبطال من أعدائه ببطولتهم، ولا يحالول أن يخفي علاقته بحب الحياة أحياناً، كما في قوله:

لعمرك إني في الحياة لزاهد ... وفي العيش ما لم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم ير مثلها ... شفاء لذي بث ولا لسقم

---

(2) إحسان عباس : شعر الخوارج الطبعة : 3، 1974 ، دار الثقافة،بيروت – لبنان مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com ج 1 ص18

إذن فالشعر السياسي في العصر الأموي هو ذلك الشعر الذي قاله الشعراء التابعون للاتجاهات السياسية والأحزاب المتصارعة على الخلافة في العصر الأموي، وقد ازدهر الشعر السياسي في العصر الأموي حتى أصبح غرضًا قائمًا بذاته في الأدب الأموي، وكان من أبرز أشكاله الهاشميّات والنقائض. وتُعرف الهاشميات في الشعر السياسي في العصر الأموي، بأنّها القصائد التي قيلت في حب الهاشميين وتمجيدهم، وذكر محاسنهم التي جعلتهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، وكان الكُميْت بن زيد الأَسَديّ كما مر بنا من أبرز الشعراء الذين اشتهروا بالهاشميات، ونظم في مختلف مضامينها، أمّا أبرز مضامين الهاشميات فكانت:

التعبير عن حب الهاشميين، وذكر محاسنهم وفضائلهم، وحقّهم في الخلافة بعد خلافة علي بن أبي طالب، وفيها قال الكُمَيْت:

فإنْ هِيَ لم تَصلُحْ لِحَيّ سِواهُمُ فإن ذَوي القُربى أَحَقّ وأوْجَبُ

يقولون لم يُورَث وتلكَ ولولا تراثُه لقد شركتَ فيهم بَكيلٌ وأرحَبُ

ومن نماذج الشعر السياسي عند الكميت الشاعر الشيعي كذلك قوله كلمة حق عند سلطان جائر، [3] في مخاطبة حكام بني أمية[4] :

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا[5]

أجاع الله من أشبعتموا وأشبع من بجواركم أجيعا

بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعاً[6]

(3) ينظر ترجمته في الأغاني (ط. السايسي) ج15/ ص 108، والشعر والشعراء ج2/ ص 562.

(4) البيان والتبيين، لجاحظ ج3/ ص 365.

(5) القطيع، السوط، يقطع من الجلد.

(6) حيا: أي بمنزلة لحيا، وهو المطر تحيا به الأرض.

فهذه المقطوعة من منظور علي شعيبي صوت إيجابي يرفع في وجه السلطة داعياً الناس إلى تحدي الظلم والقهر، وربما كان هذا الصوت يحمل وجهاً سلبياً عند دعاة الواقعية الاشتراكية، وذلك لأنه في جزء منه يقوم على الدعاء بتجويع أتباع الدولة الأموية وبإشباع الجياع الذين ظلمهم الأمويون فيسحب اليد الإنسانية الفاعلة، ويفرغ المسألة من وجهتها الحقيقية، حيث كان من الواجب أن يدعو إلى مقاومة السلطة الجائرة لإعادة الحق إلى أصحابه. ومع ذلك، فلا نكران له بأنه صوت إيجابي في العصر الأموي. (7)

ومن الهاشميات كذلك **رثاء الشهداء** الذين قضوا من الهاشميين، ومنهم الحسين بن علي بن أبي طالب الذي استشهد في كربلاء عام 61 هـ، وفيها قال الكميت:

ومن أكبَرِ الأحْداثِ كانتْ مُصيبةً عَلَينا قَتيلُ الأدْعياءِ المُلَحّبُ

قتيل بِجَنْبِ الطّفّ من آلِ هاشمٍ فَيا لَكَ لَحْمًا ليسَ عنه مُذّبّبُ

هجاء أعّداء الهاشميين وخصومهم، حتى عُرِف بالهجاء السياسي، وقد نظم الكميت في هجاء حكام الأمويين:

فتلك ملوك السّوءِ قد طال مُلْكُهم فحتّامَ العَناءُ المُطوَّلُ؟

وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجَوْرِ قبلنا لأجْوَرَ مِنْ حُكّامِنا المُتمثّلِ

ومن أنماط البشعر السياسي نذكر **كذلك شعر النقائض**، وهي اللون الثاني من ألوان الشعر السياسي في العصر الأموي، فتُعرَف أنّها قصائد طِوال ينظمها شاعر ما في الهجاء بغرض الردّ على قصائد لخصيم له، يلتزم فيها نفس أسلوب خصيمه بحرًا وقافية ورويًّا لينقض معاني خصيمه ويردّها عليه، وينسب الشاعر ناظم النقيضة الفخر لنفسه ولقبيلته عكس خصيمه، وقد كانت النقائض استمرارًا للهجاء الجاهلي القبليّ، ولكن قيام الأحزاب السياسية، ومحاولة التقرّب إلى الخلفاء بغرض التكسّب، أذكى هذا الفن في العصر الأموي وجعله أبرز، حتى عُرف ثلةٌ من الشعراء بفحول النقائض، وهم: جرير، والأخطل، والفرزدق.

نموذج تطبيقي: عبد الله بن قيس الرقيات: (8):

---

(7) علي الشعيبي الإيجابية والسلبية في الشعر العربيين الجاهلية والإسلام إتحاد كتاب العرب 2002.ص44

(8) أحمد إبراهيم المسودي الأدب الأموي جامعة أم القرىكلية اللغة العربية وآدابهاقسم الأدب (انتساب)

يدعو عبد الله بن قيس الرقيات[9]، إلى الزبيريين، وحدث أن طائفة من آل بيته قُتلوا في موقعة الحرة من بينهم أبناء أخيه, فهزته تلك الأحداث وبكى أهله بكاءًا شديدًا وكان يدعو للثورة على الحكم الأموي[10]:

إنّ الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعنَ مَرْوَتِيَه
يُنعى بنو عبدٍ وإخوتهم حلّ الهلاك على أقاربيه
ونُعي أسامةُ لي وإخوته فظللتُ مُسْتكًّا مَسامعيه
تبكي لهم أسماءُ مُعولةَ وتقول ليلى: وا رَزِيَّـتيــه
والله أبرحُ في مقدمةٍ أَهدِي الجيوش, على شِكتيه
حتى أفجّعهم بإخوتهم وأسوق نسوتهم بنسوتيه.

فهذه الأبيات تحكي حُرقته وفجيعته وكيف وقع الخبر عليه وقعًا شديدًا صمّ أذنيه, ومن ثمّ تحوّل إلى الزبيرين يمدحهم ويُشيد بدعوتهم, يقول مادحًا عبدالله بن الزبير[11]:

وابنُ أسماءَ خيرُ من مسح الركْـ ـنَ فَعالاً وخيرُهم بنيانًا
وإذا قيل مَنْ هِجانُ قريش؟ كنتَ أنتَ الفتى وكنتَ الهِجانا[1]

وقد كانت مدائحه في مصعب بن الزبير أكثر من مدائحه في عبدالله بن الزبير, يقول مادحًا مصعب:

على بيعة الإسلامِ بايعْن مصعبًا
كراديس من خيلٍ وجمعًا مباركا
تدارك أُخرانا وتمضى أمامنا
وتتبع ميمون النقيبة ناسكا
إذا فرغتْ أظفارُه من كتيبةٍ
أمال على أُخرى السيوفَ البواتكا[2]

---

(9) الله أم عبدالله و الراجح أنه الأول. وكذلك اختلفوا في نعته بالرقيّات والراجح أنه اختلف الرواة في اسمه هل هو عبيد كان يُشبب بفتاه اسمها (رُقيّة), وهو قرشي مولود بمكة ويبدو من أخباره أنه عاش في المدينة المنورة فترة ولعل الذي دفعه إلى ذلك ولعه بالمغنيين والمغنيات, وابتعد عن المدينة في الفترة التي ثارت فيها على يزيد.

(10) أحمد إبراهيم المسودي الأدب الأموي جامعة أم القرىكلية اللغة العربية وآدابهاقسم الأدب (انتساب)

(11) أحمد إبراهيم المسودي الأدب الأموي جامعة أم القرىكلية اللغة العربية وآدابهاقسم الأدب (انتساب)

وهو حين يمدح مصعبًا يمدح قُريشًا معه، وهى القبيلة التى ينتمى إليها كل من الأمير والشاعر فيقول:

حبذا العيشُ حين قومى جميعٌ لم تفرِّقْ أمورَها الأهواءُ
قبل أن تطمع القبائل فى مُلْـ ـكِ قريشٍ وتشمتَ الأعداءُ

أيها المشتهى فناءَ قريش بيد الله عمرُها والفناءُ
إنما مصعبٌ شهاب من اللـ ـه تجلتْ عن وجهه الظلماءُ
ملكهُ ملكُ قوّةٍ ليس فيه جبروتٌ ولا به كبرياءُ

ويدعو الشاعر إلى الثورة العارمة الدامية على بنى أمية فيقول:

كيف نومى على الفراش ولما تشمل الشام غارةٌ شعواءُ
تذهل الشيخ عن بنيه وتُبدى عن بُرَاها العقيلة العذراءُ[1]
أنا عنكم بنى أُميةَ مُزْوَ رٌّ وأنتمُ فى نفسىَ الأعداءُ

وإلى جانب هذا الشعر السياسي الذي يُشيد بالزبيرين فقد جنح ابن الرقيات إلى إتجاهٍ شعري جديد دفعته إليه ضغينته على الأمويين, تمثّل هذا الإتجاه في الغزل بعاتكة زوج عبدالملك بن مروان, وتغزل بأم البنين زوجة الوليد بن عبدالملك, التي يقول فيها:

ألا هـزأت بنـا قـرشيـة يـهتـزّ مـوكبُـهـا
رأت بـى شيبـةً فـى الـرأ س مـنـّى مـا أُغيِّبـها

فـدع هـذا ولـكـن حـا جـةٌ قـد كـنـتُ أطـلُـبـها
إلـى أم الـبـنـيـن مـتـى يـقـرِّبـهـا مُقَـرِّبُـهـا
أتـتـنـى فـى المـنـام فـقـلـ ـت هـذا حـيـن أعـقـبُها
فـلمـا أن فـرحـتُ بـهـا ومـال عـلـىّ أعـذبـهـا
شـربـتُ بـريـقـهـا حـتـى نـهـِلْـتُ وبـتُّ أشـربُـهـا

وقد أدّى هذا الغزل الكيدي إلى هدر دمه, وبعد مقتل ابني الزبير خرج ابن الرقيات إلى الكوفة فأقام سنة, وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي.

خصائص شعر عبيد الله بن الرقيات

1. لم يقتصر شعره على الدعاية للزبيرين, بل افتخر بقريش عمومًا.
2. شعره السياسي ممزوج بصيغة خطابية .

3. صدق العاطفة في شعره, وسهولة التعبير ووضوحه واختيار مفرداته وتجانسها
4. اشتهر بن الرقيات بلون من الغزل اصطلح على تسميته بالغزل الكيدي الذي كان يغيض به خصومه (أي تغزل بمحارم خصومه) .

ولم يكن ابن الرقيات هو شاعر الزبيرين الأوحد, بل كان معهم عدد من الشعراء تحوّل أكثرهم إلى مدح الأمويين بعد سقوط الحزب الزبيري مثل إسماعيل بن يسار, وأعشى همدان.. والشاعر الوحيد الذي قُتل لمناصرته الزبيريين هو النعمان بن بشير رضي الله عنه وليس هذا غريبًا فقد كان يربطه بعبدالله بن الزبير رباط روحي يتمثل في أن عبدالله بن الزبير هو أول مولود للمهاجرين في المدينة المنورة, والنعمان بن بشير هو أول مولود للأنصار بعد الهجرة, وأمّه أخت عبدالله بن أبي رواحة (أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السؤال الإجمالي:

كانت المؤثرات السياسية من أهم المؤثرات في الحياة الأدبية الأموية, فقد نقل الأمويون حاضرة ملكهم إلى بيئة جديدة تغاير بيئة الحجاز هي الشام. وأسسوا ملكاً وراثياً يتداول فيه بنو أمية الحكم من دون سواهم ويقمعون كل معارضة تنزع إلى سلبهم الملك، وكان لجل خلفاء بني أمية مقدرة سياسية تجعلهم مهيئين لتولي مقاليد الحكم. ناقش القول، مبرزا الخصائص الأسلوبية والفكرية للشعر السياسي ،مع ذكر شواهد شعرية؟

خاتمة:

لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن الشعر السياسي هو تلك القصائد التي قيلت لإحياء أو تمجيد أو دعوة لفكرة سياسية, أو هو نضال عن حكم أو نظرية معينة فيه, فهو دفاع من جهة وهجوم من جهة أخرى, ودفاعه يكون عن نظرية يعتنقها جماعة وهجوم على خصومه الذين يعارضونه.وهناك فرق بين مديح الخلفاء والقادة والولاة وبين الشعر السياسي، فالمديح شئ والشعر السياسي شئ آخر, لأن المديح والثناء الذي يقدمه الشاعر يكون في الغالب من أجل نيل العطايا, وموجه إلى صفات شخص بعينه. فهو لا يدعو إلى فكرة و يمتدحها, بل يمدح شخصًا ما لنيل عطاياه.ومن ثم فالشعر السياسي يخدم الفكرة والرؤية السياسية ذاتها, ولا يمدح ذات الحاكم.ومن أهم مميزات الشعر السياسي نكر أسلوب البرهنة والاحتجاج : بصدق دعاوى المذهب أو نقض اطروحات المذاهب الأخرى. عطفا على نشر مبادئ الحزب (المذهب). يضاف إلى هذا الإشادة بزعمائه ورجالاته وانتصاراته.وكذلك رثاء من قضى من القادة والشهداء، والتهجم على غيرهم من الأحزاب المعارضة، وهجاء قادته.